في التعليم الإلزامي

حول مقال

« مدام دي سان بران »

عرضنا فيما مر على أعين القراء صورة سريعة لما تقلناه من مقال مدام دي سان بران عن التعليم الإلزامي وأجلنا نظرتنا إليه وبيان رأينا فيه دون أن نبيح لنفسنا نقاشها إلا إلماما خشية أن نهيج في مزاج السيدة الجليلة مكتئبين بما نقلناه من كلام كوامن « الفوفزة » عام للدكتور « جون ب وطسن » زعيم نظرية (السلوكيه) في علم النفس وأستاذ التربية التحليلية بجامعة « جونز هبكنز » تاركين الحقائق الواقعة والقوانين المقررة إبراز الحق من حجابه ، وتمييز خطأ الرأي من صوابه .

واليوم نعرض على أعين القراء مرة أخرى آراء بعض رجال التربية والتعليم ، من ذوي الرأي الصائب ، والنظر الثاقب في التعليم الالزامي حتى لا تتحاكم إلى الجدل المنطقي وما إليه ، مما لا يجدي فتيلا ، ولا يغني من الحق كثيرا ولا قليلا ، فلقد يخيل إلينا أن السيدة الفاضلة منعزلة في صومعة بعيدة عن العمران منزوية عن الاجتماع ، وأنها جمعت معلومات مبتورة في ذهنها عن التعليم الالزامي ثم سلطت قلمها عليها فنثرها لا أكثر ولا أقل .

قال سعادة امين باشا سامي :

« إني منغبط جدا لاقتشار التعليم الالزامي ثقة مني بأن تعليم الشعب هو اساس كل تقدم وفلاح ، ولن توفق في منافسة الشعوب إلا إذا قضينا على الأمية قضاء مبرما وسيكون ذلك حادثا لا مثيل له في تاريخ مصر ، ولي أمنية واحدة : هي أن يمتد الأجل إلى أن يتعلم آخر « أبي » وقي وطني . »

وقال الأستاذ محمد عبد الله العربي أستاذ القانون بكلية الحقوق : إذا كان لابد للحكومة من أن تنفق على التعليم فليكن إنفاقها مقصورا على نوعين من التعليم هما : التعليم الإلزامي والتعليم الجامعي لأن التعليم الإلزامي يعطي قدرا من الثقافة ترشح الحكومة عند بوادر الأمة يساعدها على أداء مهمتها ، وأما التعليم الجامعي فيرمي إلى العلم لذاته واستنباط أصوله وإرشاد المجتمع إلى تلك الأصول .

وقال الأستاذ الدكتور أحمد فريد رفاعي : « إن التعليم الأولى الإلزامي هام جدا بل هو العمود الفقري للبلاد ولأبناء ثروتها وضمان الأيدي العاملة في ربوعها وبين ظهرانيها »

أرأيت إلى الرجل الزنجي الأمريكي « بوكر وشنجطن » الذي بعث الحياة في نفوس أبناء جلدته قوية ناضجة ، وبعثها صالحة مكافحة حتى سوى بينهم وبين البيض .

أتعرف ماذا فعل ؟ إنه أنشأ مدارس ، وأنشأها من لاشيء ، إنه اجتمع في الخيام وكلف تلاميذه السود الذين علمهم صناعة الآجر ، وعلم بعضهم النجارة والزراعة ، والآخرين الحدادة والبرادة ، ثم تعاون صانعوا الآجر مع زملائهم واحتطبوا من الغابات أخشابا تكفي لصنع مدرسة ، وهكذا تعاونوا جميعا على صنع مدرسة أولية ، كل ذلك كان في ساعات فراغهم وما زال بهم حتى شيد كثيرا من المدارس اضطرت الحكومة أن تختبرها وكثر فيها الأنصار والمؤيدون واستخدم خلالها كثيرا من أرباب الأعمال الحرة والتاجر وصارت نموذجا حيا في صورة مصغرة لمدرسة الحياة الكبرى لأنها أعدت من هؤلاء وهؤلاء ، ورجالا حقيقيين يقومون بأعباء الحياة الحقيقية .

وقال الأستاذ الكبير محمد العشماوي بك السكرتير العام بوزارة المعارف العمومية « لا شك أننا سنكون بعد نصف قرن قد دفنا (الأمي) الأخير على شرط أن نكون قد نفذنا التعليم الإلزامي بقانون صارم يعاقب من يتخلف عن تعليم أولاده والاحتياط لتعليم الكبار على الكره منهم ودفن هذا الأمي علامة على انتهاء عصر الجهل العام والظلام »

وقال الأستاذ ـ دبوي المربي الأمريكي الكبير : « إن الصبي يجب أن يتعلم ليعيش »

ولما طرح موضوع التعليم الأولى للبحث في (مؤتمر التعليم) الذي عقد بسويسرا منذ أكثر من ثلاث سنين ، قام رئيس المؤتمر الدكتور (مفرو) وقال : « إن بلدان الشرق جميعها أشد اهتماما بالتعليمين الثانوي والعالي منها بالأولي ، وقد أدى هذا الخطأ إلى نشوء طبقة من المتعلمين الذين تولوا وصاية تلك البلاد بين شعب أغلبيته الساحقة تتوزع في هوة الجهالة وأكثريته ترتدي ثوب الأمية ، وذلك من أكبر الأسباب في تأخر الشرق وانحطاطه . »

وألقت الدكتورة (مرغريتا كامبس) الأسبانيولية خطابا جامعا بينت فيه بالأرقام البلاد التي يزداد فيها ارتكاب الجرائم بالنسبة لزيادة الأمية فيها وأشارت إلى هولندا والدانيمرك والسويد والنرويج التي انعدمت فيها الأمية من زمن بعيد كيف أدى ذلك إلى القضاء على الجرائم

لدرجة أن كثيرا من ولاياتها لم تعقد فيها محاكم جنايات من مدة خمس وعشرين سنة ، فضلا عن استتباب السلام واستقرار النظام .

وقد ألقى اللورد لويد — المنصوب السامي بمصر سابقا — خطبة فياضة أدلى فيها باللائمة والطعن والتجريح على مصر ونعى بازدياد الجرائم فيها ، وعزا ذلك إلى ازدياد الجهل وتفشي الأمية بين أهلها .

ورأى السنيور « دمينجو » الأرجنتيني أن الغلبة لن تكون في المستقبل إلا للشعوب المتعلمة فإن العوام لن يستطيعوا أن يهضموا الحضارة السائدة وأن الشرق في حاجة كبيرة إلى الأخذ بنصيب وافر من التعليم حتى لا يضطر إلى التخلف عن القافلة وهي تسير .

والناظر في تاريخ نهضة التعليم في (بولنيا) يتملكه الدهش ويأخذه العجب حينما يعرف أن الأزمة استنفدت مرة أموال الحكومة وأتت على السبد والجيد في خزائنها حتى اضطرت إلى تسريح الكثرة المطلقة من جيشها ، ووقفت بعض مشاريعها وعطلت كثيرا من مصالحها ، ومع ذلك لم تمس ميزانية المدارس بشيء ، بل زادت فيها بما جمعته من الاكتتاب لها وعقد القروض عليها ومعونة القائمين بأمرها ، ولقد اخترت بولنيا لقرب الشبه بيننا وبينها من كل وجه .

ولعل من المستحسن أن تنتهز هذه المناسبة فنهيب بولاة الأمور أن يعدلوا عن سياسة الضن على التعليم الإلزامي في مصر إلى مايكفل له مقوماته ومزاياه حتى لا يعتاقه الشح عليه عن النماء والتفريع وحتى لا ينتج ثمرة فجة لاغناء فيها ولا طعم لها ولا فائدة منها ، فإن الجوان الذي يعيش فيه رجاله ، والبيت الذي ينقلب في حمأته القائمون به ، والتشريع الذي يقضي على المعلم أن ينفق من حياته أضعاف مايكسب لحياته ، فيظل يكدح طوال يومه لقاء أجر زهيد لا يسمن من شبع ولا يغني من جوع ، وهو يتوقع الشقاء أبدا ، فلا تسكن نفسه من قلق ، ولا يبرأ قلبه من عثار ، وما أشبهه بالصاعد في سلم نصبت درجاته من أسلحة مرهفة فلا راحة في الطلوع ولا في النزول ولا في الوقوف ، كل هذه العوامل مجتمعة لا تحقق الرجاء المنشود في التعليم الإلزامي .

ومحال والله — أن تنجح معه أية وسيلة غير وسيلة واحدة — وواحدة فقط — هي تأمين المعلم على حياته وحياة من يعول بعد وفاته ، وكل محاولة غير هذه تبوء بالفشل الذريع والخيبة المحققة ولئن نجحت فإلى حين كالجرح الذي اندمل على دخل تحت ضغط الرباط لابلبث أن يسيل من جانب آخر .

والتعليم الإلزامي نوع جديد لم يألفه الشعب بعد ، ولم يستسغه ذوقه ولم يتطبع به مزاجه لغرابته عن المألوف المتواضع عليه من أنظمة التعليم ، فهو من هذه الناحية في حاجة إلى وصاية الحكومة بالشدة في تنفيذ قوانينه والعناية به ونشره بين الجمهور حتى يصطبغ بالصبغة المصرية ، فيسهل مضغه وبلعه وهضمه والاستفادة منه .

وبعد ، فهذه كلمة برئة أردنا بها إقرار الحق في نصابه ، وإقامة الواجب في قرابه ، ونحن نقدم بين يديها نيتنا — وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ، ولعلنا نوفق إلى إكمال ما وعدنا في كلمتنا السابقة (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

محمد الصاوي عمار

مكفر الزيات

بعض آراء الفلاسفة والعظماء في المرأة

١ — أجلى شيء في الحياة هو النحلة الصانعة التي تحيى بها الزوجة زوجها . « ولسن »

٢ — المرأة مخلوق بين الملائكة والبشر . « بلزاك »

٣ — الحياء والصمت أجمل زينات المرأة . « اوريبيدس »

٤ — ليس على الأرض أرأف من قلب المرأة إذا كان مسكنا للعطف . « فوتر »

٥ — كلما رأيت رجلا وصل بعلمه إلى قمة المجد ، فاعلم أن بجانبه امرأة يحبها ويحبه . « شيلر »

٦ — كلما أردت أن أتخيل السعادة تمثلت أمامي في صورة امرأة جالسة بجانب المرأة وعمل الرجل . « قاسم أمين »

عبد الحميد الزنادي

ناظر مدرسة البنوان بالفيوم